مقتنيات المتحف المصرى

من أوراق البردى خلال السنوات الأخيرة

سأقصر كلامى فى هذا التقرير على الوثائق اليونانية واللاتينية التى تدخل فى صميم اختصاصى . لقد أضاف المتحف المصرى الى مقتنياته البردية مجموعة فريدة فى بابها لا تقل فى أهميتها عن أشهر ما اكتشف منها فى السنوات الماضية مثل تلك الأوراق التى عثر عليها فى محفوظات زينون أو أوراق كوم اشقاو . وقد تم كشف تلك المجموعة فى ظروف غريبة لم نعهدها من قبل . ففى عام ١٩٤١ حصلت السلطة الحربية البريطانية من الحكومة المصرية على تصريح باستخدام بعض المحاجر القديمة فى طره ، والتى تبعد عن القاهرة ببضعة كيلو مترات ، لاستعمالها كمخازن لايداع الذخيرة . وتمهيدا لذلك كلفت السلطة المذكورة بعض المتعهدين للقيام بتنظيف وترميم تلك المحاجر . وفى أثناء العمل عثر بعض العمال فى المحجر رقم ٣٥ فى شهر أغسطس عام ١٩٤١ على مجموعة كبيرة من أوراق البردى ظلت فى مكانها عدة قرون عند حافة جدار أحد الدهاليز . وقد وجدت هذه الأوراق مطمورة تحت التراب والحصى الذى تراكم عليها تدريجيا نتيجة لتفتت الأحجار البطىء .

وقد تم العثور على تلك الأوراق فجأة خلال بصيص ضئيل من الضوء النافذ الى المحجر دون أن يشهدها أى فرد يفطن الى مالها من الأهمية العلمية . ومما لاشك فيه أن أولئك العمال الذين كانوا فى المحجر قد تقاسموا فيما بينهم بطرق ساذجة وعنيفة تلك الغنيمة التى لم تكن فى الحسبان اذ أنهم وجدوا فيها اذا بيعت ما يغنيهم عن أجور عدة أشهر

بل عن أجور عـدة سنوات مما كانوا يتقـاضون . ولما عـلم رجال الشرطة بالأمر اتفقوا مع مفتش مصلحة الآثار وهو المرحـوم نسيم جوهر أفندى وقتئذ على الخطة اللازمة لضبط تلك الأوراق ، وبفضل معاونتهم أمكن الاستيلاء على مجموعة كبيرة منها وأودعت بالمتحف . ولما نما ذلك الخبر الى مسامع حضرة صاحب الجلالة الملك تفضل فأوفد مندوبا من قبله لشراء كمية أخرى كبيرة من تلك الأوراق الهامة من حائزيها على نفقته الخاصة . كما وأنه قد اتخذت تدابير أخرى للعمل على استرداد أكثر ما يمكن الحصول عليه منها بعد أن توالت عليها حركة الشراء فترة طويلة من الزمن وتفضل جلالة الملك بدفع ثمن جزء منها واعتمدت وزارة المالية مبلغا خاصا للجزء الآخر . وضمت جميع تلك الأوراق البردية التى أمكن استردادها بشتى الوسائل الى المجموعة الأصلية بالمتحف المصرى . وهكذا أمكننا بقدر المستطاع اصلاح ما أحاط بهذا الكشف من نتائج كانت مدعاة للأسف والكدر وكان منع وقوعها فى أول الأمر مستحيلا . ومع ذلك يجب ألا يفوتنا أن نذكر أن بعضا من تلك النتائج لن نجد الى معالجته سبيلا ومنها :

أولا — أهمية الوصول الى معرفة الظروف التى كانت خاتمة المطاف وألقت بتلك الأوراق فى ذلك المكان الذى لا يخطر على بال . وربما أمكن الوقوف على بيانات هامة فى هذا الشأن لو كانت الظروف قد أتاحت وقت اكتشافها بوجود شخص خبير يباشر عملية استخراجها بتؤدة وبطريقة فنية ليحصل على جميع التفصيلات الخاصة بها والتى يؤدى جمعها الى تصور الحالة التى كانت عليها تلك الأوراق بشىء من الدقة حينما أودعت فى هذا المكان . غير أن كل المعلومات التى تتعلق بهذا الموضوع قد اندثرت تماما .

ثانيا — وبدلا من أن تتناول تلك الأوراق الأيدى التى تراعى اللين والرفق فى معالجتها تناولتها أيادى العمال السذج بخشونة نجم عنها

تمزقها وتفتتها . ولاشك أن كثيرا من أجزائها قد فقدت أو تلفت أو تبعثرت ولا أمل فى العثور عليها ، وأن التشويه الحديث الظاهر فى تلك الأوراق يوضح بجلاء أن الأجزاء الفاقدة منها الكبيرة والصغيرة كانت موجودة فعلا وقت كشفها .

ثالثا — ومما يؤسف له أيضا أن حائزى تلك الأوراق قد تولوا أحيانا معالجتها بطرقهم الخاصة رغبة منهم فى اعادة تجديدها ما أمكن وتحسين شكلها وبذلك يرتفع ثمنها . فكان من نتيجة اتباع تلك الطرق الغير فنية أن ذاب المداد الردىء على تلك الأوراق وتعذر علينا قراءة صفحات بأكملها ، كما لصقت الأوراق الرطبة بعضها ببعض وتعطبت .

رابعا — وأخيرا مما لا جدال فيه أن كشف تلك الأوراق لم يصل بأكمله الى المتحف المصرى وأن فريقا من الناس ما زالوا يخفون لديهم البعض منها فى طره اما بدافع الخوف من السلطات الحكومية أو أملا فى الحصول منها على كسب وفير مستقبلا.

وبالرغم من عدم استكمال تلك المجموعة الا أن مقدار مااقتناه المتحف المصرى منها على جانب عظيم من الأهمية ، ويتكون من بقايا عدد خاص من الكتب تمت اعادتها الى وضعها الأصلى وهو لا يختلف فى شىء عما هو متبع فى الكتب الحديثة وذلك بجمع الكراسات أو الملازم التى يتكون كل منها من أربع ورقات طويت من منتصفها وثبتت بخيط فتكون منها ثمانى ورقات تحتوى على ست عشر صفحة مكتوبة ، على النقيض من اللفائف التى تكون عادة عبارة عن قطعة واحدة طويلة من البردى مطوية حول نفسها . والكثير من تلك الكراسات فى حالة تكاد تكون تامة ومتتابعة دون انقطاع فأعطت نصا متصل الحلقات . ويلاحظ أحيانا ضياع ورقة أو أكثر بين كراستين مصانتين ، كما يلاحظ أيضا ضياع بعض الكراسات أو بعض أوراق منها يرجح أن تكون قد ظفرت بها أفراد خاصة على أثر تشتتها بعد الكشف . ومما لاشك فيه أن هذه الكتب قد تفككت أوصالها

عندما وضعت فى المحجر وهذا هو السبب فيما اعتراها من تغيير كلى عندما وصلت الى أيدينا ، فبعضها يكاد يكون منبسطا وبعضها مطوى أو ملفوف بعضه فوق بعض ، وأحيانا كنا نرى مجموعة من الكراسات فى وضع مختل النظام ومطوية على شكل اسطوانة كبيرة ثبتت بشريط من ألياف البردى ، كما انقسم عدد كبير منها الى قسمين عند منتصف ارتفاع الصفحات ووضع النصفان فوق بعضهما وطويا معا • وعلى ذلك فهى كتب فى حالة يرثى لها وناقصة فى الواقع ويمكن اعتبارها حطام مخطوطات أودعت المحجر •

ولابد لنا أن نتساءل عمن وضع هذه الكتب فى ذلك المكان ومتى ولماذا وفى أى الظروف والأحوال تم وضعها •

تدل محتويات تلك الكتب على أنها منقولة فى الأصل من مكتبة دينية فهل معنى ذلك ياترى أن راهبا تقيا رغب فى الاحتفاظ بتراث تلك الكتب القيمة فى وقت تعرض فيه ديره للخراب ، أو أن ناسكا قليل المعرفة قد أراد أن يجمع لنفسه مكتبة صغيرة فعكف على التنقيب فى أطلال دير قديم مهجور بحثا عن محتوياته ، أو أن شخصية جبارة أرادت انقاذ تلك المؤلفات الدينية أو الاحتفاظ ببعض صفحات منها ، أو أن أحد اللصوص كان قد تسلل وانتزع بعضا من أجزاء تلك المؤلفات ثم أخفاها هنالك وهو يرقب فرصة تمكنه من بيعها دون أن تقتص منه يد العدالة • على اننا نخشى أن تظل هذه الأسئلة معلقة الى النهاية دون أن نظفر بالاجابة عليها •

ولكى تسهل علينا دراسة أوراق طره البردية كان من الواجب أن نبسطها ونفردها ثم نعيد الأجزاء الكثيرة المنفصلة منها الى مواضعها الأصلية وقد قطعنا شوطا طيبا فى هذا العمل الذى يتطلب دقة وجهدا طويلا وذلك بمعاونة المسيو شرر الأستاذ بجامعة فؤاد الأول وأصبح الآن فى مقدورنا أن نعد بيانا مؤقتا على الأقل مما حصلنا عليه من هذا الكشف •

واذا اتخذنا من الكتابة قاعدة نحكم بها على تاريخ تلك الأوراق (وهذه فى الحقيقة طريقة تقريبية) أمكننا القول أنه من المرجح أنها ترجع الى القرن الرابع بعد الميلاد • وكما نوهنا من قبل على أن محتوياتها ذات صبغة دينية فهى تتضمن تعليقات على العهدين القديم والجديد أو تتعرض الى شرح بعض النقط فى العقائد الدينية • وكانت مفاجأة طريفة أن يقع النظر بين هـذه النصـوص على عدد هام من الصفحات المتعلقـة « بأوريجانوس » بعضها معروف من قبل والبعض الآخر لم ينشر بعد وهو يشمل :

أولا — رسالة وجيزة من ثمانى وعشرين صفحة عنوانها « محادثة بين أوريجانوس وهرقل وغيره من الأساقفة المتحدين معه حول موضوع الأب والابن والروح القدس » ، فيبدأ النص بصورة دعوى فى هيئة مجمع صغير ينعقد لاختبار أسقف من أتباع هرقل فى مدى استقامة رأيه فى الديانة ، فيوجه اليه أوريجانوس بعض الأسئلة ويطلب منه تحديد طبيعة الأب والابن فى داخل الثالوث ، ثم يدعو الحاضرين أن يوجهوا اليه ماشاؤا من الأسئلة التى قد تبدو لهم غامضة فى العقيدة الدينية ليجلو لهم ماغمض من مكنوناتها •

ثانيا — كتاب صغير من جزئين ، ويتكون من خمسين صفحة فقد بعضها والكثير من البعض الآخر بالغ التشويه ، وعنوانه « البسخة » أى « عيد الفصح » ، وهذا المؤلف على عكس ماكنا نرجوه من عنوانه لم يتناول مطلقا ناحية الجدل حول تاريخ الفصح ، وهى المشكلة التى طالما احتدم الجدال فيها لتحديد التاريخ الذى ينبغى على المسيحيين أن يحتفلوا فيه بعيد الفصح • وقد وصل الى علمنا أن أوريجانوس قد كتب عن هذا الموضوع ، غير أن ذلك السفر الذى عثر عليه فى بلدة طره لم يشتمل الا على تعليق على الفصل الثانى عشر من سفر الخروج وله علاقة بنظام عيد الفصح • وهو يصف فقط عيد الفصح عند اليهود وينوه بأهميته الرمزية بالنسبة الى المسيحيين •

ومن مؤلفات أوريجانوس المدونة على أوراق طره البردية كتاب آخر يحوى ثمان وعشرين صفحة قوامها تعليق على رسالة القديس بولس الى أهل رومية ، لم نكن نعرف عنه من قبل سوى بعض اقتباسات وصلت الينا عن طريق الترجمة اللاتينية التى قام بها « روفان » وهو مترجم اشتهر بقلة عنايته وتقصيره فى تحرى الدقة التامة فى ترجمته . ويذهب « روفان » فى قوله على أن المؤلف بأكمله يشتمل على خمسة عشر جزءا أعادت الينا أوراق طره منها الجزأين الخامس والسادس ولو أنهما رجعا الينا فى حالة ربما كانت تامة ، الا أنهما أتاحا لنا الفرصة للقيام بعمل مقارنات هامة مفيدة مع نص « روفان » .

ومن بين المؤلفات المعروفة عن هذا العالم اللاهوتى العظيم قد عثرنا على قطع كبيرة من كتابه المعنون « ضد سلس Contre Celse» ومن عظاته الدينية عن قصة ساحرة اندور التى ورد ذكرها فى اصحاح ٢٨ من سفر الملوك الأول . ومما يستلفت النظر أن الأوراق الخاصة بهذين المؤلفين تعطينا نصا متصل الحلقات غير أن بعض الأجزاء قد حذفت منه وهى تتراوح بين بضع كلمات أو صفحات وهى فى مجموعها عظيمة الأهمية فلا يكون حذفها مرجعه الاهمال ولم نعلم بعد على أى أساس ولأى قصد حدث هذا الحذف الذى أدى الى تغيير معالم تسلسل النص تغييرا كليا وتعذر علينا ادراكه . وربما أمكننا الوصول الى بعض النتائج اذا قمنا بدراسة عميقة فى هذا الموضوع .

وبالرغم من أن أوراق طره سوف لا تضيف الى معلوماتنا جانبا كبيرا عن آراء أوريجانوس التى أمعن فى توضيحها فى مؤلفاته المعروفة من قبل الا أنها ستساعدنا مساعدة أكيدة فى تحديد تاريخ نصوص هذا العالم ومعرفة الطريقة التى اتبعت فى نقلها اذ أن أقدم المخطوطات المنسوبة اليه التى حصلنا عليها قبل العثور على تلك الأوراق لا يرجع تاريخها الى ما قبل القرن العاشر بينما أوراقنا هذه أقرب فى تاريخها الى عهد أوريجانوس

نفسه منها الى عهد تاريخ تلك المخطوطات . ولاشك فى أن المقارنة بين هذه وتلك ستؤدى الى نتائج علمية مفيدة .

وعلاوة على نصوص أوريجانوس فقد عالجنا قطعا كبيرة من نصوص أخرى تكون عدة مئات من الصفحات ووضعناها فى ترتيبها الأصلى ، ومن هذه القطع ثلاثة تعليقات الأولى عن سفر التكوين والثانية عن سفر أيوب والثالثة عن نبوات زكريا . ولو أن واضع هذه التعليقات لم يرد ذكر اسمه ، الا اننى أميل الى الاعتقاد أنها تعزى الى عالم لاهوتى عظيم كان يقطن بالاسكندرية يسمى « ديديم الأعمى » لأننا نعرف أنه علق على هذه الأسفار الثلاثة وما بقى لدينا من تعليقاته عن سفرى التكوين وأيوب لايتجاوز بعض فقرات قصيرة ورد ذكرها فى شروح هذه الأسفار وقد اهتدينا الى بعض من هذه الفقرات من سياق نصوصها فى أوراق طره . أما فيما يختص بتعليق ديديم الأعمى عن زكريا والذى لم نعثر على شىء منه فقد كشف النقاب عنه القديس جيروم اذ أخبرنا أن تعليقات ديديم كانت تنقسم الى خمسة أجزاء وهذا أمر يستلفت النظر اذ أن سفر زكريا نفسه كان يحتوى على ثلاثة أجزاء . أما التعليق الوارد فى أوراقنا يشتمل فى الواقع على خمسة أجزاء بدليل أن الجزء الأخير لدينا يحمل « الجزء الخامس » . وهذا التوافق مع ديديم فى عدد الأجزاء وفى الأدلة الأخرى ما يحملنا على الاعتقاد بأنها كانت حقيقة من عمل ديديم .

فاكتشاف طره يعتبر أهم ما اقتناه المتحف المصرى فى السنوات الأخيرة من أوراق البردى اليونانية . ومن المألوف لدينا أن تضم الوثائق الخاصة بعلم الأوراق البردية فى أوسع معناه أنواعا من وثائق أخرى تمت فى محتوياتها الى الأوراق البردية بصلة . وفى مقدمة هذه الوثائق قطع من أوانى الفخار المحطمة (أوستراكا) كانت تستخدم فى كتابة نصوص قصيرة وقتية . وقد تيسر للمتحف الآن أن يضيف الى مقتنياته من هذا النوع مجموعتين منها تختلفان عن الوثائق العادية المعروفة من قطع الفخار والمحفوظة بالمتحف .

والمجموعة الأولى التى نشرتها بمجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى العدد ٤١ لسنة ١٩٤٢ ص ١٤١ — ١٩٦ يحتوى على ستين قطعة من الأوستراكا يرجع تاريخها الى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد • وقد عثر عليها فى وادى الفواخير فى الصحراء الشرقية على الطريق الواقع بين قفط والبحر الأحمر حيث كانت توجد مناجم الذهب التى استغلت فى عهد الرعامسة • أما اكتشاف تلك المجموعة فيرجع الى شركة التعدين المصرية اذ عثرت عليها فى أثناء المحاولات الفنية المتقنة التى قامت بها لاستخلاص الذهب من حجر الكوارتس المتفتت من مخلفات القدماء •

وهذه المجموعة عبارة عن خطابات خاصة موجهة الى جنود الجيش الرومانى الذين كانوا مكلفين بالحراسة فى تلك المنطقة اما لحماية طريق القوافل واما للسهر على استغلال المناجم • ويحمل السواد الأعظم من أولئك الجنود أسماء رومانية ولو أن سبعة فقط من تلك الخطابات كتبت باللغة اللاتينية ولعلها صادرة من الرؤساء الرومان الأصليين • أما الخطابات الأخرى فقد كتبت باللغة اليونانية ولاشك أن مرسليها أو الأشخاص الصادرة اليهم كانوا مصريين أو من اليونانيين الذين استوطنوا فى مصر واتخذوا لهم أسماء رومانية عند انتظامهم فى سلك الجيش •

وتتضمن تلك الخطابات فى الغالب بيانات عن تبادل خدمات مطلوبة أو أديت فعلا بين مرسليها أو المرسلة اليهم • وهى فى مجموعها تلمح لنا عن الحالة المعيشية فى وادى الفواخير على أنها كانت مما لا يصعب احتمالها • وأن موقع هذا الوادى على طريق هام ومعبد مما ساعد على سهولة تموينه كما أصبح مركزا قيما لتموين رجال البعثات أو الرجال المعسكرين فى أماكن نائية • وتحمل تلك القطع من الأستراكا دائما بيانات عن غلال ان دلت على شىء فهى تدل على أنها مرسلة أو سترسل من وادى الفواخير وليست واردة اليه • فنجد لدى سكان هذا الوادى الحبوب والزيوت

والنبيذ والمملحات والملح والجبن بل وكثيرا ما تعهد أهله بتصدير ما كان يطلب منه من مقادير كثيرة من الخضروات المتنوعة الطازجة كما كان يطلب منهم حتى الورق اللازم للخطابات . ومما لا جدال فيه أن مجموعة تلك التفاصيل أو المعلومات ذات قيمة تاريخية هامة . وناهيك عما تحمله تلك الرسائل الوجيزة الجافة من الشعور الفياض اذ أننا نلمس بين سطورها كثيرا من العواطف الانسانية الكامنة من اصرار الانسان وكفاحه الجبار بالرغم من الظروف المقلقة التى تحيط به ، فى ابتداع بيئة يرفرف عليها الى حد ما علم السلام والرفاهية وتتوفر فيها الحياة الاجتماعية العائلية ، وفكرة الخلود والاعتقاد فى الحياة العادية .

أما المجموعة الثانية من الأستراكا فقد عثر عليها جماعة من العمال الذين كانوا يشتغلون باستخراج السباخ فى ادفا قرب مدينة سوهاج . وهى مكونة من خمسين نصا يرجع عهدها الى القرن الثالث بعد الميلاد . وأغلب تلك المجموعة تسير على نمط واحد ثابت ولو أن موضوعها عرضة للتنويع اذ يمكن أن يشتمل على معلومات أكثر أو أقل . فمثلا أمر صادر من شخص الى آخر لكى يسلم شخصا ثالثا عددا كبيرا من الدجاج والبيض وذلك لأسباب ذكرها . وهذا مثل من أمثلة الوثائق التى تتعلق بعلم الأوراق البردية فى أبسط صورها الأولية . وعلى ذلك فهى تمدنا بمعلومات لاشك أنها محدودة وكانت تعوزنا معرفتها من قبل فهى تنوه عن موضوع هام يختص بالاقتصاد الزراعى فى مصر فى العهد الرومانى كتربية الدواجن التى نعتبرها زينة حظائرنا اذ نأخذ منها تارة الريش اللازم لحشو الوسائد الوثيرة لفراشنا وتزخر منها موائدنا بالبيض واللحم الفاخر تارة أخرى .

أكتاف جيرو
ونقله للغة العربية طوجو مينا